● فتيان وفتيات بعمر الزهور يتسولون في الشوارع، يمدون أيديهم للناس طلباً للمساعدة ويتعللون بذرائع وحجج مختلفة بل ويذرفون الدموع أحياناً في وجوه الخارجين من المساجد والمارين في الشوارع لإثارة العاطفة والشفقة لديهم حتى يجودوا لهم بما تيسر .. هؤلاء الأطفال هم ضحايا قسوة آبائهم الذين يجبرونهم على التسول وجمع المال بحجة عدم قدرتهم على العمل ولحاجتهم الماسة لهذا المال بسبب ظروفهم الاقتصادية الصعبة .. غير آبهين بحقوق وواجبات أطفالهم وبما قد يحدث لهم جراء هذه المهنة.

الأطفال يكرهون هذه المهنة لأن فيها إذلالاً وانتقاماً لهم من قبل المجتمع كما أنها تسبب لهم الكثير من المضايقات والإحراجات لكنهم مجبرون على ذلك من قبل آبائهم الذين ضاق بهم الحال بسبب الظروف المعيشية القاسية ومتطلبات الحياة وتعقيداتها. مما جعلهم يدفعون بفلذات أكبادهم لامتهان التسول وتعريضهم لكل مايمكن أن يقال إما لحاجة ماسة فعلاً أو لغرض كسب المزيد من الدخل للأسرة التي ربما تكون في غنى عن ذلك، غير مدركين للنتائج والآثار السلبية التي ستنعكس على أبنائهم مستقبلاً.

تحقيق / إفتكار أحمد القاضي

صرخوا : هذه المهنة تعرضنا للإهانة والضرب من قبل آبائنا والآخرين

آباء يدفعون فلذات أكبادهم للتسول !!

عمي يجبرني على ذلك

أمل عبده يحيى (١٠ سنوات) منذ أن تزوج والدها بامرأة أخرى وتركها مع والدتها وأخواتها الثلاث ولم يعد ينفق عليهم شيئاً كما أن والدتها لم تعد قادرة على العمل بسبب ظروفها الصحية.

اتجهت أمل إلى التسول بدافع من (عمها شقيق والدها) الذي كفلها هي وأخواتها وأمها بعد غياب والدهم..

تقول أمل «بسبب ظروفنا الصعبة أجبرني عمي على التسول مقابل تغطية النفقات الدراسية التي نحتاجها أنا وإخواني وعندما بدأت العمل في هذه المهنة لم أستطع أن أتاقلم معها لكن إصرار عمي على التخلي عنا جعلني أقدم على السؤال من هذا وذاك وأقبل الإهانة والكلمة الجارحة منهم، وهكذا أصبحت أجمع في اليوم الواحد مبلغ (١٥٠-٢٠٠) ريال وأعطيها إلى عمي، وأنا بالطبع أكره هذا العمل وأتمنى مواصلة دراستي مثل كل البنات دون أن أتسول، وقد تعرضت مرة للسب والضرب من قبل أحد الأشخاص وسبق أن قبض عليّ وهذا كله وعمي مازال يصر على عملي في هذه المهنة الحقيرة..

الشعور بالخجل

بسام علي (١١ سنة) -طالب: في المرحلة الابتدائية اكتسب هذه المهنة من إخوانه الأكبر منه وذلك بعد أن أجبره والده على هذا العمل إلا أن حاله أفضل من غيره فهو يتسول في أيام الإجازة الصيفية ليوفر مايحصل عليه من نقود لسد متطلبات ومستلزمات المدرسة..

يقول بسام: «أتسول خلال أيام العطل الدراسية وأوزع وقتي في هذا العمل على فترتين، الفترة الصباحية وأجلس خلالها للتسول أمام الجامعة الجديدة والفترة المسائية بجانب الأكشاك والباصات الداخلية وأحصل في اليوم الواحد على مبلغ يتراوح بين (٢٥٠-٣٠٠) ريال، بينما إخواني يحصلون على مبلغ أكثر وهذا يثير غضب والدي علي ويتهمني بالاحتفاظ ببقية النقود بل إنني أتعرض للضرب من قبله إذا لم أخرج للتسول وليس ذلك فحسب، فالعائلة بأكملها أيضاً هي الأخرى تعمل في هذه المهنة التي يمتد عملهم فيها من الصباح حتى الساعة التاسعة مساء وبشكل يومي، وأنا أكره هذا العمل وأشعر بالخجل وأنا أمد يدي للناس طالباً المساعدة، وكم أتمنى أن أتركه وأتفوق في دراستي وأصبح طبيباً في المستقبل لكن ماذا أفعل أمام قسوة والدي وجبروته».

الحاجة

قد يجبر الفقر فتاة في ربيع عمرها على الخروج من منزلها للاتجاه إلى أقرب شارع أو مكان عام بحثاً عن لقمة العيش من خلال مد يدها لهذا وذاك، وقد تسمع كلاماً بذيئاً وآخر معسولاً وكله يصب في إناء واحد..

هند رفضت ذكر اسمها بالكامل لأن الحاجة كما تدعي هي التي دفعتها إلى هذا العمل .. تقول: «لاأمارس هذه المهنة بشكل دائم، ولكن عند الحاجة الملحة فأبي كبير في السن ويعمل على (عربية) صغيرة في أحد الأسواق وعندما لايبيع شيئاً ويعود إلى البيت صفر اليدين يطلب مني الخروج إلى التسول.

متسول آخر له عشرة إخوة أكبرهم فتاة في المرحلة الثانوية، والده عاطل عن العمل لذا فهو من يحمل المسؤولية عن أبيه في الانفاق على أسرته وقد ترك دراسته من أجل العمل في مهنة التسول كما أن إحدى أخواته تعمل في أحد المطاعم من أجل مساعدته وحتى يتمكن بقية إخوانهم من مواصلة تعليمهم.

يقول:أعمل في المهنة ليل نهار من أجل تغطية نفقات أسرتي وحتى يتمكن إخواني من مواصلة تعليمهم .. أما أنا فقد تركت دراستي وأنا في المرحلة الإعدادية لعدم قدرتي على التوفيق بين الدراسة والتسول وضحيت بذلك من أجل سعادة بقية العائلة حتى ولو كان ذلك على حساب مستقبلي الذي طالما حلمت أن يحمل نفس تلك الملامح التي يتطلع إليها الكثيرون من أمثالي، ولكن ماعسى أن يكون البديل أمام ظروفنا الصعبة وقسوة الحياة.

اكتساب المهنة

لم يعد التسول محصوراً عند سن معين أو مربوطاً بتوفير متطلبات ومستلزمات الدراسة كما يقول المتسولون الصغار .. فالطفلة يسرى التي لم تبلغ من العمر سوى (خمس سنوات) تقف في ظلام الليل تنتظر خروج المصلين من المسجد لتمد يدها إليهم طالبة منهم المساعدة، وعندما سألتها لماذا تتسولين؟ ردت كبقية المتسولين من أجل توفير مستلزمات المدرسة بالرغم من أنها لم تلتحق بالمدرسة بعد وتصر على أن التقط لها صورة وأعطيها كراساً وقلماً وخلال حديثي معها عرفت بأن والدها هو من يجبرها على الخروج مع والدتها وأخواتها حتى تتعلم منهم هذه المهنة وتصبح قادرة على إعطائه الكثير من المال مثل بقية أخواتها..

أسرة بأكملها

مايثير الدهشة والاستغراب أن تخرج أسرة بكاملها للتسول فبينما كنت أتحدث إلى إحدى المتسولات اجتمعت حولي خمس فتيات يطلبن المساعدة، وعندما سألتهن عن أسمائهن تبين لي أن أربعاً منهن أخوات عمر أكبرهن خمس عشرة سنة وأصغرهن ثمان سنوات، وجميعهن رفضن الإجابة على تساؤلاتي وتخوفن مني لاعتقادهن أنني من سلطات الأمن لكني بعد أن أعطيتهن بعضاً من النقود وأكدت لهن أني لست من الأمن، وافقت إحداهن على التحدث نيابة عن أخواتها لتشرح معاناتهن قائلة: «بعد أن ماتت أمي تزوج أبي وعشنا بعدها مع خالتي - زوجة أبي- الذي يستمع إلى كلامها ويرفض أن نلتحق بالمدرسة إلا بشرط أن نوفر مستلزمات الدراسة بأنفسنا، وبالتالي أجبرنا على الخروج إلى التسول وجمع المال حتى أصبحنا تلقائياً نخرج من المدرسة ونتجه إلى شوارع العاصمة نجمع مانحصل عليه من مال ونعطيه لخالتنا مقابل إقامتنا معها هي ووالدي الذي يصرخ في وجهنا ولا يعطينا شيئاً مما نجمعه من نقود مقابل تعبنا وتنقلنا من شارع لآخر ونتعرض للسب والإهانة من الناس وهو كل همه أن يحصل على المال.

ظاهرة خطيرة

مشكلة التسول أصبحت تزداد يوماً بعد الآخر على مستوى المدن عموماً وأمانة العاصمة خصوصاً والتي لم تعد تقتصر على سن أو جنس معين بل إن صغار السن أصبحوا ينتشرون في الشوارع والأسواق العامة للعمل بهذه المهنة بشكل مخيف وخطير هذا الأمر يدعو إلى التساؤل عن الأسباب التي دفعت بهؤلاء الصغار إلى مثل هذا السلوك؟ وكيف سيؤثر على مستقبلهم في الغد؟

علم الاجتماع يرجع انتشار هذه الظاهرة إلى أسباب عدة ويجملها الدكتور فؤاد الصلاحي أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة صنعاء بالقول: «لم يعد التسول بالأمر الهيّن حتى نطلق عليه مشكلة أو حدثاً عارضاً أو اعتيادياً يمكن تلافيه ومعالجته بسهولة بل أصبح في نظري ظاهرة تنتشر في بلادنا كما ينتشر المرض المعدي في جسم الإنسان هذه الظاهرة والتي تزداد في الانتشار خاصة من قبل صغار السن نجد أن أسبابها اجتماعية واقتصادية، بل وسياسية أيضاً ونستطيع القول إنه نتيجة للظروف الاقتصادية المرتبطة بالتحولات وتدني دخل الأسر الفقيرة نتيجة قلة فرص العمل وتزايد الطلبات على المواد الغذائية الضرورية تجد بعض الأسر نفسها أمام واقع لاتستطيع أن تتحمله فتلجأ إلى التسول أو تدفع بأبنائها إلى هذه المهنة وهنا تحل الكارثة عندما يحرم الأبناء من التعليم ويتعرضون للمضايقات والضرب والإعتداء من قبل أسرهم والناس أيضاً وهذا يشكل انتهاكاً خطيراً في حق الأطفال في التربية الصحيحة والتعليم السليم، وربما نتيجة لغياب وقصور دور الجهات المعنية بحماية هذه الفئة.

ويمضي بالقول :على الجهات المعنية أن تفعل من نشاطها للحد من هذه الظاهرة فالاستراتيجية الوطنية للتخفيف من الفقر عليها أن تبحث في معالجتها على حلول لهذه الظاهرة، وأن تسعى لعمل خطة عملية لدراسة الواقع المعاش للخروج من مأزق هذه الإشكالية ذات الأبعاد المستقبلية الخطيرة على أبنائنا وعلى المجتمع بشكل عام لأن خروج الأطفال إلى التسول وحرمانهم من التعليم يؤدي إلى زيادة حجم الأمية في بلادنا بالإضافة إلى المشكلات التي قد تنشئ من خلال اختلاط هؤلاء الأطفال بالأوساط الاجتماعية غير الصحية هذا الاختلاط قد يؤدي إلى ظهور العديد من الحالات غير السوية في المجتمع والتي تؤثر بشكل سلبي عليه.

متابعة

ونتيجة لتفشي هذه الظاهرة في مجتمعنا أنشأت الحكومة مشروعاً لمكافحةالتسول يتولى القيام بمتابعة المتسولين وأخذهم ودراسة حالاتهم والعمل على إيجاد الحلول لها.

الأخ راشد عبدالله الأشول -المدير التنفيذي لمشروع مكافحة التسول يقول: «نقوم بمتابعة وأخذ المتسولين كباراً صغاراً من الشوارع والجولات والأسواق ونجري عليهم أبحاثاً اجتماعية ونفسية لمعرفة ظروفهم الاجتماعية ولاقتصادية والدوافع التي جعلتهم يمتهنون هذه المهنة، ونضع الحلول المناسبة بناء على النتائج التي خرجت بها هذه الدراسات، وقد اتضح من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على شريحة من الأطفال المتسولين من مختلف المحافظات أن دافع التسول لدى البعض هو الحالة الاقتصادية لأسرهم والبعض أجبر على امتهان هذه المهنة من قبل أسرته كون هذه المهنة تدر عليهم دخلاً كبيراً بشكل يومي فتواصلنا مع آبائهم وسلمناهم إليهم بعد أخذ تعهدات منهم ومن عاقل الحارة وقسم الشرطة ومدير المديرية بعدم الدفع بأبنائهم مجدداً إلى التسول، أما الأطفال الذين دعتهم الحاجة إلى التسول فنقوم بإرسال بعضهم إلى مراكز الطفولة الأمنة ودار رعاية الأيتام أو دار رعاية الأحداث وخصوصاً الذين ليس لهم أسر.

● وقال مدير مشروع مكافحة التسول لقد بلغ عدد المتسولين من الأطفال ذكوراً وإناثاً في أمانة العاصمة والذين تم رصدهم والتعامل معهم وإيجاد الحلول المناسبة لهم أكثر من ستمائة حالة حتى نهاية ٢٠٠٤م، وهذا الرقم لايعني حصر كل من هو موجود في الشوارع من متسولين ويدعو الأشول المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني وفاعلي الخير والميسورين إلى التعاون مع المشروع ودعمه ليؤدي دوره بشكل فاعل، كما يؤكد ضرورة تظافر الجهود الرسمية والشعبية للحد من هذه الظاهرة .. لأن مايواجه المشروع هو عدم التفاعل معه في إنجاح مهامه كما أننا نتعرض للمساءلة من قبل النيابة بسبب أخذنا لهؤلاء الأطفال واحتجازهم، وليس ذلك فحسب، بل إن النيابة لاتجبر الأب على التعهد بمنع أطفاله من مزاولة المهنة، كما أن غياب القانون الذي ينص بمعاقبة أي شخص يزج بالأطفال إلى هذه المهنة أو غيرها أدى إلى تفاقم الظاهرة وانتشارها ولم يعد بمقدورنا نحن بمفردنا مواجهتها والحد منها.

لفتة

● في نهاية هذا التحقيق أتساءل: أي قلب يحمل هذا الأب وذاك العم أو تلك الأم ليدفعوا بفلذات أكبادهم إلى الشوارع العامة لطلب المساعدة أو التسول وبعيداً عن كل تلك الأسباب التي دفعت بهؤلاء الصغار إلى امتهان التسول .. أدعو الجهات المعنية بحقوق الطفل إلى النظر إلى هذه المشكلة الخطيرة التي تنعكس سلبياتها على الأطفال والمجتمع بشكل عام والعمل على دراستها والخروج بمعالجات جادة تحد من هذه الظاهرة وتحفظ لهؤلاء الأطفال كرامتهم وحقوقهم.

علم الاجتماع:

الأسباب الاقتصادية والاجتماعية خلقت هذه الظاهرة

مشروع مكافحة التسول: ندرس الظاهرة ونضع الحلول المناسبة ونعاني من غياب التشريع القانوني